



## أضواء على أطول الفكر الإسلامى عند الشيعة الإمامية

پدیدآورده (ها) : الحسينى، محمد

میان رشته ای :: الثقافة الاسلامیة :: جمادى الأولى و جمادى الثانية 1413 - العدد 46

از 123 تا 140

آدرس ثابت : <http://www.noormags.ir/view/fa/articlepage/392334>

دانلود شده توسط : رسول جعفریان

تاریخ دانلود : 09/06/1396

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی (نور) جهت ارائه مجلات عرضه شده در پایگاه، مجوز لازم را از صاحبان مجلات، دریافت نموده است، بر این اساس همه حقوق مادی برآمده از ورود اطلاعات مقالات، مجلات و تألیفات موجود در پایگاه، متعلق به "مرکز نور" می باشد. بنابر این، هرگونه نشر و عرضه مقالات در قالب نوشتار و تصویر به صورت کاغذی و مانند آن، یا به صورت دیجیتالی که حاصل و بر گرفته از این پایگاه باشد، نیازمند کسب مجوز لازم، از صاحبان مجلات و مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی (نور) می باشد و تخلف از آن موجب پیگرد قانونی است. به منظور کسب اطلاعات بیشتر به صفحه [فوائین و مقررات](#) استفاده از پایگاه مجلات تخصصی نور مراجعه فرمائید.



پایگاه مجلات تخصصی نور

[www.noormags.ir](http://www.noormags.ir)

أطوار، ملك

# أطول الفكر الإسلامى

عند الشيعة الإمامية

الأستاذ محمد الحسينى

مقدمة:

الذين كتبوا عن الشيعة صنفان، رجال الشيعة ومفكر وهم وأعلامهم، وآخرون من خصومهم. وكان مفكرو الشيعة في كتاباتهم وأبحاثهم، بصدد توضيح وكشف إعتقاداتهم في المسائل الخلافية، أو بصدد الرد على إتهاماتٍ بخصوص هذه الاعتقادات. وتنبع قيمة هذه الكتابات، من كونها كتابات من داخل المحيط الشيعى، ولكونها - أيضاً - تستند إلى مصادر خصومهم، لأنها غالباً ما تكون، بصدد إلزامهم بما ألزموا أنفسهم به. أما كتابات خصوم الشيعة عن الفكر الشيعى، فهي في الغالب كتابات من الخارج، يكتنفها الغموض، وتقوم على التبسيط، كما تفتقر إلى المراجعة الدقيقة للمصادر الشيعية - على الأقل - الرئيسية منها، فضلاً عن غلبة الروح المذهبية المتعصبة. ولذلك كان لزاماً على دارسى الفكر الشيعى، أن يتوفروا على عدة نقاط أساسية، بدونها تصبح أبحاثهم ودراساتهم من وجهة النظر العلمية غير مجدية، ولن تكون ذات قيمة على الإطلاق.

كتابتنا في الشيعة

ولعل أهم ما يمكن أن تتوفر عليه هذه الأبحاث هو:

كثابته وبيئته

أولاً:

التوفر على مصادر الشيعة - موضوع البحث - والاطلاع عليها، والنقل عنها بصورة مباشرة، دون الاعتماد على ما تنقله أطراف لها خصومة فكرية ونفسية مع الشيعة، وإن أسندت إلى الشيعة، لإمكانية تصور الخيانة والاشتباه أو السهو على أقل تقدير. كما يقتضي المنهج العلمي، والأمانة العلمية وتقوى الله - أيضاً - الاطلاع المباشر على معتقدات الخصم، وتجنب الطريقة البيغوية. ويفترض - أيضاً - في الباحث الاطلاع الواسع والشامل للمباني الفكرية المختلفة. أما الاطلاع الجزئي فلن يجعل الباحث مؤهلاً لمثل هذه المهمة الخطيرة، ولن تكون نتائجه إلا نتائج مبتسرة ومشوهة، لأن مقدماتها لم تكن إلا كذلك. وفضلاً عن كل ما ذكر ينبغي التوفر على المصادر الأساسية والآراء المجمع عليها لدى الشيعة، وإن شاء الباحث الإحاطة حتى بالآراء النادرة أو الشاذة، فيكون لزاماً عليه ذكرها بهذا الوصف - أعني بوصفها نادرة وشاذة - وتجنب تعميمها.

وفي هذا المجال تعرضت الشيعة إلى حملة مسعورة، سجل خصومها رقماً قياسياً في تجاوز الأمانة العلمية، ولن نعدم الأمثلة على ما نقول وأكتفي بمثالين فقط، أحدهما لابن تيمية أحد أبرز علماء السلفية، والثاني لعالم معاصر هو الشيخ محمد أبوزهرة. وقد ذكر الأول منها «أن قسماً من الشيعة لا يصلون مخافة أن يخرج الإمام - ويقصد الإمام المهدي - وهم مشغولون بالصلاة فلا يستطيعون اللحاق به»<sup>(١)</sup>. أما ثانيهما فقد جاء في أحد كتبه: «إن بعض الشيعة يجوز الزواج بتسع حرائر لأن معنى قوله تعالى ﴿مثنى وثلاث ورباع﴾ يعني إثنتين وثلاثة وأربعة»<sup>(٢)</sup>. ولا أظن أن شخصاً له أدنى حظ من العقل أو الدين، سيجد تبريراً لهذين الشيخين في تقولهما وافترائهما على الشيعة. ولا ينقضي العجب من عالم موسوعي كبير يحكم على الشيعة حكماً قاسياً مفاده أن مذهبهم طريق مسدودة بالنسبة لأمر الحياة الدنيا، لا لشيء سوى أنه اعتمد على نتيجته هذه على ما كتبه الغزالي الخصم اللدود للشيعة<sup>(٣)</sup>!!

ثانياً:

إبعاد العامل النفسي، والاقبال على البحث بحيدة نفسية تامة، والتجرد من ثقل الأحقاد، وحب التريص، والوقية بالادعاءات والافتراءات، لأن من شأن تسرب السوابق المذهبية إلى البحث، إستباق النتائج، والحكم على - موضوع البحث - قبل الدراسة والفحص، وقبيل تحقيق المقدمات الممهدة لها.

تكملة كتابه فيضيه قم

ثالثاً:

تجنب التعميم في الأحكام أو النقل، والتريث في إصدار مثل هذه الأحكام، لأن التعميم ليس إلا عملية شاقة، قد تكون مستحيلة، وحينئذ لا يسوغ لأي كان أن يمارس هذا النوع من إصدار الأحكام إلا بعد أن يكون قد استوعب واستقرأ بالفعل كل نواحي المسائل موضوع بحثه وأحاط بها علماً.

رابعاً:

أن تعتمد الدراسة على معايير، إما أن تكون محل اتفاق الشيعة وخصومهم، أو تكون مسلّمة عندهم. ولذلك وجب على الباحث أن يتجنب اللجوء إلى معايير خاصة به. كما يشترط أن تقوم دراسته على أساس المباني الفكرية المسلّم بها لدى الشيعة وإلا كانت محكّماته مصادرة على المطلوب.

خامساً:

قبول النتائج الموضوعية وإن أدت إلى النيل من قناعاته (الباحث) وعدم اللجوء إلى ضرب من التأويل والتبرير، وسبر لعالم النوايا.

«بنية الفكر الشيعي»

وفي دراسة موجزة تظهر معالم الفكر الشيعي (الإمامي) في عدة نقاط:

[ ١ ] إنه فكر تنزيهي :

حيث يعتقد الشيعة « أن الله تعالى واحد أحد، ليس كمثله شيء، قديم لم يزل ولا يزال، هو الأول والآخر، عليم حكيم عادل حي قادر غني سميع بصير. ولا يوصف بما توصف به المخلوقات، فليس هو بجسم ولا صورة، وليس جوهرًا ولا عرضًا، وليس له ثقل أو خفة، ولا حركة أو سكون، ولا مكان ولا زمان، ولا يشار إليه، كما لا ندُّ له، ولا شبه، ولا ضد، ولا صاحبة له ولا ولد، ولا شريك، ولم يكن له كفواً أحد. لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار»<sup>(٤)</sup> واعتقاد الشيعة هذا مأخوذ عن الإمام علي والأئمة (ع) من آل بيت رسول الله (ص)، فقد جاء في بعض كلمات أمير المؤمنين علي (ع) قوله :

« الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يحصى نعماءه العادون، ولا يؤدي حقه المجتهدون، الذي لا يدركه بعد الهمم، ولا يناله غوص الفطن، الذي ليس لصفته حد محدود، ولا نعت موجود، ولا وقت معدود، ولا أجل ممدود. . . أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة. فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه، ومن قال فيم فقد ضمّنه، ومن قال علام فقد أخلى منه، كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم، مع كل شيء لا بمقارنة، وغير كل شيء لا بمزايلة، فاعل لا بمعنى الحركات والآلة، بصير إذ لا منظور إليه من خلقه. . . »<sup>(٥)</sup>.

وقوله (ع) في جواب على سؤال ذُعلب اليماني في قوله لعلي (ع) هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين؟ فقال (ع) :

« أفأعبد ما لا أرى؟ فقال: كيف تراه؟ فقال: لا تراه العيون بمشاهدة العيان، ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان، قريب من الأشياء، غير ملامس، بعيد منها غير مباين، متكلم لا بروية، مرید لا بهمة، صانع لا بجارحة، لطيف لا يوصف بالخفاء، كبير لا يوصف بالجفاء، بصير لا يوصف بالحاسة. . . »<sup>(٦)</sup>.

وقريب منه قول الإمام الحسين(ع): «أيها الناس اتقوا هؤلاء المارقة الذين يشبهون الله بأنفسهم يضاھون قول الذين كفروا من أهل الكتاب، بل هو الله ليس كمثل شيء وهو السميع البصير، لا تدركه الأبصار، وهو يدرك الأبصار. . . لا منازع له في شيء من أمره، ولا كفو له يعادله، ولا ضد له ينازعه ولا سمي له يشابهه، ولا مثل له يشاركه. . .»<sup>(٧)</sup>.

ومثله قول علي بن الحسين(ع): «الحمد لله الأول بلا أول كان قبله، والآخر بلا آخر يكون بعده، الذي قصرت عن رؤيته أبصار الناظرين، وعجزت عن نعمته أوھام الواصفين. . .»<sup>(٨)</sup> ومثله قول الباقر(ع) وقد سأله عبد الرحمن بن أبي النجران قال له: إني أتوهم شيئاً فقال الباقر(ع) له: «نعم غير معقول ولا محدود، فما وقع وهمك عليه من شيء فهو خلافه، ولا يشبهه شيء، ولا تدركه الأوام، وهو خلاف ما يعقل، وخلاف ما يتصور، إنما يتوهم شيء، غير معقول ولا محدود. . .»<sup>(٩)</sup>. وثمة نصوص أخرى يتناقلها علماء الشيعة ورواتهم عن أئمة آل بيت رسول الله(ص) بمجموعها تدل بوضوح على وجوب تنزيه الذات الإلهية وحرمة القول بالتجسيم، وهو الاعتقاد بأن الله جسم، ووجوب تأويل ما ورد في القرآن الكريم من آيات قد توحي بذلك وحملها على المجاز، وكذلك حرمة القول بالتشبيه، وهو الاعتقاد بأنه - تعالى عن ذلك علواً كبيراً - على صورة الإنسان، ومثل ذلك حرمة الاعتقاد بأن الله متحيز، أي في مكان.

وعلى ضوء هذا الاعتقاد ينفي الفكر الشيعي فكرة الاتحاد، التي تعني أن يصير الأولياء من الأنبياء والأئمة أو غيرهما متحدين بالله تعالى، كما ينفي فكرة الحلول أيضاً. وعلى أساس من هذا الاعتقاد أيضاً نفى الفكر الشيعي رؤية الله وذهب إلى حمل ما ورد من آيات بهذا الخصوص على المجاز لا الحقيقة.

ومن الجدير بالذكر أن الفكر التنزيهي لدى الشيعة نابع عن مدى الارتباط العميق بمدرسة أئمة آل رسول الله(ص)، ولم يكن وليد تأثير بالغير كما يزعمه البعض، وإنما نقلنا عدة نصوص في مقدمة هذه الفقرة لتأكيد ما نقول، من أن هذه النزعة - أي التنزيه - أصيلة في الفكر الشيعي غير طارئة. وتأثر الفكر الشيعي بالمدرسة الاعتزالية ليس سوى خرافة

دبجها بعض المتخصصين للنيل من الفكر الشيعي، ثم ردها آخرون لا نصيب لهم من الاطلاع والمعرفة بحقائق التاريخ، تلك الحقائق التي تثبت أن الاعتزال نفسه ولد ودرج في أحضان التشيع<sup>(١٠)</sup>.

## [٢] التشيع فكر إسلامي المنشأ:

لقد حاول خصوم الشيعة إظهار الفكر الشيعي كحالة طارئة على الفكر الإسلامي عبر إدعاء الظهور المتأخر لأفكارهم - أي الشيعة - عن عصر النبي (ص)، أو عبر إدعاء التأثر بالعنصر الخارجي وعلى الخصوص العنصر الفارسي.

والحقيقة أن ولادة الفكر الشيعي القائل بالإمامة - التي تعد المعلم الرئيس الذي يميزه عن غيره - تمت على عهد النبي (ص)، وبرعايته الخاصة، وما روي عنه (ص) يكفي لإثبات هذه الحقيقة، وهي روايات كثيرة منها المتواتر لفظاً أو معنى، ومنها المستفيض والمشهور والآحاد، ومنها شيعي المصدر ومنها السني، ومنها المجمع عليه عندهما معاً. ولا يسع البحث منها في المقام إلا النزر اليسير. ونقتصر على ما كان مصدره سنياً، وما كان عندهم صحيحاً. وجل هذه الروايات تشير إلى إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) وولايته بعد النبي (ص)، والآخر يشير إلى ولاية وإمامة الحسن والحسين والمعصومين من ذرية الحسين بن علي (ع). أما الروايات التي أشارت إلى ولاية الإمام علي بن أبي طالب (ع) فإننا نقتصر على ذكر قسم منها، وبإمكان القارئ الرجوع إلى الكتب التي تكفلت<sup>(١١)</sup> ذلك. ومن هذه الروايات:

ما روي عن رسول الله (ص) في حجة الوداع عند نزوله غدِير خُم قوله: «كأنّي دُعيت فأجبت أني قد تركت فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله وعترتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض». ثم قال: إن الله عز وجل مولاي وأنا مولى كل مؤمن، ثم أخذ بيد علي فقال: من كنت مولاه فهذا وليه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه» أخرجه الحاكم في المستدرک<sup>(١٢)</sup>، وقال عنه صحيح على شرط الشيخين<sup>(١٣)</sup>. وأورده الذهبي في تلخيصه معترفاً بصحته. وقد روي حديث الغدير بألفاظ مختلفة، وهو

حديث متواتر من طرق الشيعة ومن طرق السنة أيضاً. وقد أثبت السيد عبد الحسين شرف الدين تواتره من طرق السنة<sup>(١٣)</sup>.

ومنها قوله (ص) لعلّي (ع): «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه ليس بعد نبي»<sup>(١٤)</sup>.

وقد دون<sup>(١٥)</sup> حديث المنزلة في أكثر كتب الحديث والتفسير والتاريخ منها:

(١) صحيح البخاري: ج ٥/٨١ حديث ٢٢٥، ج ٦/٣٠٩ حديث ٨٥٧.

(٢) صحيح مسلم ج ٤/١٨٧٠ حديث ٢٤٠٤.

(٣) صحيح الترمذي ج ٥/٦٤٠، ٦٤١.

(٤) سنن ابن ماجه ج ١/٤٢، ٤٣.

(٥) مسند أحمد بن حنبل ج ٣/٣٢، ج ٦/٣٦٩، ٤٣٨ ومنها قوله (ص) في حجة الوداع:

«علي مني وأنا من علي ولا يؤدي عني إلا أنا وعلي»<sup>(١٦)</sup>.

ومنها قوله (ص) وقد أخذ برقبة علي بن أبي طالب: «إن هذا أخي ووصيي وخليفتي

فيكم فاسمعوا له وأطيعوا»<sup>(١٧)</sup> وقد نقل بصيغ متعددة متقاربة في معناها<sup>(١٨)</sup>.

ومنها قوله (ص): «لكل نبي وصي ووارث، وإن علياً وصيي ووارثي»<sup>(١٩)</sup>.

وقد نقل حديث الوصي بصيغ متعددة أيضاً<sup>(٢٠)</sup>.

أما ما ورد في العترة من آل بيت رسول الله (ص) فمنها قوله (ص): [من سرّه أن يحيا

حياتي ويموت مماتي ويسكن جنة عدن غرسها ربي، فليوال علياً من بعدي، وليوال وليه،

وليقتد بأهل بيتي من بعدي، فإنهم عترتي، خلّقوا من طينتي، ورزقوا فهمي وعلمي، فويل

للمكذّبين بفضلهم من أمّتي، القاطعين فيهم صلّتي، لا أنا لهم الله شفّاعتي]<sup>(٢١)</sup>.

وقوله (ص): [في كل خلف من أمّتي عدول من أهل بيتي، ينفون عن هذا الدين

تحريف الضالّين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، ألا وإن أئمتكم وفدكم إلى الله

فانظروا من توفدون]<sup>(٢٢)</sup>.



وقوله (ص): [يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي] (٢٣).

وقوله (ص): [إني تارك فيكم خليفتين: كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض (أو ما بين السماء إلى الأرض)، وعترتي أهل بيتي، وأنها لن يفترقا حتى يرث عليّ الحوض] (٢٤).

وقوله (ص): [الأئمة من ولدي، فمن أطاعهم فقد أطاع الله، ومن عصاهم فقد عصى الله، هم العروة الوثقى، والوسيلة إلى الله جل وعلا] (٢٥).

وقوله (ص): [يا علي أنت وصيي، حربك حربي، وسلمك سلمتي، وأنت الإمام وأبو الأئمة الأحد عشر المطهرين] (٢٦).

وقد وردت عدة روايات في عدد الأئمة من آل بيت رسول الله (ص) وأنهم خلفاء الرسول (ص) على أمته منها قوله (ص):

[قال جابر بن سمرة: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، يقول: يكون اثنا عشر أميراً، فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنه قال: كلهم من قريش] (٢٧). ولفظ خليفة قوله (ص): [لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش] (٢٨).

وقوله (ص): [يكون بعدي اثنا عشر خليفة كلهم من قريش] (٢٩).

وقد روي هذا الحديث بألفاظ متعددة تطلب في مظانها من موسوعات الحديث. ولا يستقيم تفسير الحديث إلا بتفسير الشيعة الاثنا عشرية (٣٠)، على خلاف التفسيرات الأخرى التي يأبأها مضمون الحديث كما الواقع التاريخي أيضاً.

ومن الغرابة بمكان ما إدعاه الدكتور محمد عمارة (٣١) من أن القول بالوصية لم يعرف قبل هشام بن الحكم الذي كان أحد أبرز تلامذة الإمام الصادق. وفي هذا الصدد يقول: «وأما قول الشيعة: إن عقيدة النص والوصية قد وجدت قبل زمن هشام بن الحكم وجعفر

الصادق، وإن عصر هشام قد أضاف إليها ظهور التصنيف فيها والنصرة لها ولم ينشئها إنشاءً، فإنه قول مردود... فنحن - والكلام لمحمد عمارة - لا نجد في نهج البلاغة للإمام علي - وهو أقدم نص مجموع من التراث الشيعي - عن آل بيت الرسول أكثر من أنهم أهل بيت علم وبر وتقوى وأنهم أحق بولاية أمر المسلمين وأن قريشاً قد استأثرت بهذا الأمر دونهم... ولا ذكر فيه للنص الإلهي والوصية النبوية لعلي بالخلافة... كما أننا لا نجد في مواطن الجدل من حول الخلافة - منذ اجتماع السقيفة وحتى عصر هشام بن الحكم - من احتج «بالنص والوصية» انتصاراً لعلي بن أبي طالب وتزكية لحقه في إمارة المؤمنين» (٣٢).

ولا ندري من أين استقى الدكتور عمارة معلوماته، والحال أن نهج البلاغة نفسه تضمن لفظ «الوصية» صراحة في قول علي بن أبي طالب (ع): «لا يُقاس بآل محمد صلى الله عليه وآله من هذه الأمة أحد ولا يُسوَّى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً، هم أساس الدين، وعماد اليقين، إليهم يفيء الغالي، وبهم يُلحق التالي، ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصية والوراثة...» (٣٣). كما صرح الإمام علي (ع) بحق آل بيت رسول الله (ص) في الولاية والخلافة قوله: «... إن الأئمة من قريش عُرسوا في هذا البطن من هاشم. لا تصلح على سواهم، ولا تصلح الولاية من غيرهم» (٣٤). وهو تفسير واضح لما مر من الأحاديث التي ذكرت الأئمة بالعدد وأنهم من قريش.

أما قوله - أعني الدكتور عمارة - : «... كما أننا لا نجد في مواطن الجدل من حول الخلافة - منذ اجتماع السقيفة وحتى عصر هشام بن الحكم - من احتج بالنص والوصية انتصاراً لعلي بن أبي طالب وتزكية لحقه في إمارة المؤمنين، فهو قول مردود جملة وتفصيلاً، بل أننا نجد عشرات المواطن منذ اجتماع السقيفة وإلى عهد هشام بن الحكم وبلفظ الوصية وإليك بعضاً منها:

قال أبو الأسود الدؤلي المتوفى سنة ٤٩ هـ:

أحب محمداً حباً شديداً      وعباساً وحمزة والوصيا (٣٥)  
وقول الفضل بن العباس بن عبد المطلب:  
ألا إن خير الناس بعد محمد      وصي النبي المصطفى عند ذي الذكر

وأول من صلى وصنّو نبيه      وقول شاعر الأنصار النعمان بن العجلان:  
 وكان هوانا في علي وإنه      فذاك بعون الله يدعو إلى الهدى  
 وصبي النبي المصطفى وابن عمه      وفي عهد الإمام علي(ع) لمحمد بن أبي بكر قوله: «فإنه لا سواء إمام الهدى وإمام  
 الردى، ووصي النبي وعدو النبي»<sup>(٣٨)</sup> يريد التعريض بمعاوية بن أبي سفيان.

وقد وردت لفظة «الوصية» على لسان الإمام الحسن بن علي(ع) في الخطبة حين قتل  
 أمير المؤمنين علي(ع) قوله:

«أنا ابن النبي، وأنا ابن الوصي...»<sup>(٣٩)</sup>

وفي خطبة الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء يوم عاشوراء: «أما بعد فانسبونني  
 فانظروا من أنا؟ ثم ارجعوا إلى أنفسكم فعاتبوا، فانظروا هل محل لكم قتلي وانتهاك  
 حرمتي؟ ألسنت ابن بنت نبيكم(ص) وابن وصيه، وابن عمه...»<sup>(٤٠)</sup>.

ومن طلب الزيادة يراجع موسوعات الحديث والتاريخ(\*) فإنها ملأى بالشواهد بلفظ  
 الوصية ناهيك عن الألفاظ المرادفة وما يؤدي معناها.

وفي صحيح البخاري أنه ذكر عند عائشة أن النبي(ص) أوصى إلى علي رضي الله  
 عنه فقالت: من قاله؟ لقد رأيت النبي وإني لمسندته إلى صدري فدعا بالطست فانخث  
 فمات، فما شعرت، فكيف أوصى إلى علي؟<sup>(٤١)</sup> وفيه دلالة واضحة - بغض النظر عما تقوله  
 عائشة أم المؤمنين-<sup>(٤٢)</sup> على أن الوصية لعلي معروفة زمن صدر الإسلام وأن القول بها أمر  
 شائع معروف.

وما سبق يظهر لنا حقيقة دعوى خصوم الشيعة من نسبة التشيع إلى الفرس أو إلى  
 عناصر أجنبية أخرى<sup>(٤٣)</sup>.

### [٣] التشيع محمدي:

يقوم الفكر الشيعي بشكل رئيس على التعبد بالنصوص الشرعية إمتثالاً للأمر الإلهي ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا، واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾ سورة الحشر ٧/ وقوله تعالى: ﴿... وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى . علمه شديد القوى﴾ سورة النجم ٣- ٥ وقد خُلف رسول الله (ص) في أمة القرآن الكريم وعترته أهل بيته الذين يفسرون القرآن ويعلمون الناس سنة نبيهم . وليست السنة النبوية سوى ما نقول لضرورة أن السنة لم تكن مدونة كي يرجع إليها، وعلى فرض صحة (\*) لفظ «سنتي» في حديث الثقلين فإنها هي السنة التي بينها أئمة أهل البيت عليهم السلام خاصة وأن أحاديث صحيحة رويت عن الرسول (ص)، من أنهم عليهم السلام أعلم الناس وأن من الواجب على الناس تقديمهم وإطاعتهم والأخذ عنهم كما يؤيد الواقع التاريخي ذلك، فلم يحدث التاريخ أن أحداً من أعلام الفقه والحديث والعلم بأعلم منهم على مر العصور. فالتشيع محمدي لضرورة أنه جاء امتثالاً لما صدع به رسول الله (ص) وبلغه من أمر الله تعالى، ومحمدي لأنه فكر لا يقوم على حجية ما لا ينتهي إلى الرسول محمد (ص) عن الثقة العدل، وليس ثمة أعدم وأوثق من أئمة آل بيت رسول الله (ص).

وكان الأئمة عليهم السلام بدءاً من علي أمير المؤمنين يعنون بتدوين ما ورد عن رسول الله (ص) وتفسيره للمسلمين، ولم يقل أحدهم كفانا كتاب الله كما قال غيرهم ممن منع الحديث وحرفه .

### [٤] التشيع فكر إسلامي النسب:

لم يكن ولا يزال الفكر الشيعي إسلامياً صحيح النسب، ولا أدل على ذلك من موقف الأئمة وسهرهم على حفظ الفكر الإسلامي وصيانتهم من التزوير والتحريف، ولذلك كان الأئمة عليهم السلام يحذرون<sup>(٤٤)</sup> أصحابهم وتلامذتهم من محاولات التحريف والتزوير التي تستهدف الفكر الإسلامي، وكان الأئمة عليهم السلام وبالأخص الإمام الصادق يصحح كتب تلامذته<sup>(٤٥)</sup> خشية الوقوع في الخطأ والانحراف. وقد تعاضد علماء ورواة أمناء على نقل

الفكر الشيعي من السنة الأئمة من آل بيت رسول الله (ص). وهؤلاء الرواة والعلماء ثقة عدول أمناء لدى الخاصة والعامة<sup>(٤٦)</sup>.

وقد سار علماء الشيعة على هدي أئمة آل البيت في الفحص عن أحوال الرواة ونقله الحديث والروايات وعنوا عناية خاصة بعلم الحديث والرجال. ولذلك لم يعتبر علماء الشيعة كتاباً من كتب الحديث عندهم وعند غيرهم صحيحاً على الإطلاق، بل هو خاضع عندهم للتحقيق والتدقيق مهما بلغت مكانة مؤلفه.

ومن الجدير بالذكر أن نسبة الفكر الشيعي إلى الأئمة من آل رسول الله (ص) من أوضح ما يكون وأصدق النسب على الإطلاق لضرورة أنهم أسرع الناس إلى التدوين<sup>(٤٧)</sup>. وإن شك أحد في نسبة الفكر الشيعي إلى الأئمة عليهم السلام وبما ينقلونه عن رسول الله (ص) فإنه أجدر به أن يشك في نسبة سواهم خاصة وأن التدوين لدى غيرهم لم يظهر إلا متأخراً لل منع من كتابة الحديث عن رسول الله (ص) والأمر بإحراق أحاديثه (ص). كما أن ما عرف لدى غيرهم بالصحاح ليس بأصح مما لدى الشيعة من روايات بل القرائن التاريخية تدل على رجحان رواياتهم على روايات من سواهم.

فصحيح البخاري الذي هو أعظم الكتب لدى العامة كان مؤلفه البخاري معروفاً بعدم العناية بكتابة الحديث عند سماعه، وعُرف عنه أنه يسمع الحديث في الشام فيكتبه بمصر، وآخر يسمعه بالبصرة يكتبه بالشام، وكان يكتب الحديث بالمعنى<sup>(٤٨)</sup>. وكان يحتاج بجماعة مجهولة الحال مخالفاً بذلك الإجماع، ويحتاج بالضعاف والكذابين<sup>(٤٩)</sup>. بل إن كتاب صحيح البخاري لم يتم تبييضه من قبل البخاري نفسه، وإنما تم عقيب وفاته. وذكر أن أشياء لم تتم تصرف غيره في إتمامها، مما يوحي بعدم الثقة في نسبه إليه بتمامه<sup>(٥٠)</sup>.

## [٥] فكر عقلائي:

وفي الفكر الشيعي مساحة واسعة للعقل خاصة في أصول اعتقاد المسلم - أعني أصول الدين - إذ لا يصح عندهم أن يهمل الإنسان نفسه في الأمور الاعتقادية أو يتكل على تقليد

المربين أو أي أشخاص آخرين، كما أن الإيمان بها يقوم على إعمال العقل وكذلك الاستدلال عليها.

فالعقل إذن - في الفكر الشيعي - هو الذي يفرض على الإنسان المسلم الاعتقاد في التوحيد والنبوة والإمامة والعدل والمعاد. والتراث الشيعي - باعتراف الخصوم - (٥١) صفحة من صفحات الفكر الإسلامي المشرقة بنور العقل والمزدانة بسلطانه. وقد سجل الدكتور عمارة - في معرض حديثه عن الطابع العقلاني عند الشيعة - اعتراضاً من الضعف بمكان إذ يقول: «والعقلانية واحدة من القسمات التي تتجلى للناظر في تراث الشيعة الفكري، وذلك إذا استثنينا تراثهم في الإمامة وما يتعلق بها. فهم في الإمامة... قد غدوا أسرى النصوص وتفسيرات لنصوص، تعبدوا بها، ونحووا العقل جانباً أمام هذه النصوص...» (٥٢).

وقد خفي على الدكتور عمارة خفاء كبيراً، طبيعة البناء النظري للإمامة - عند الشيعة - إذ يعتبر العقل الأداة الأولى لإثبات أصل النظرية - أي نظرية الإمامة - ثم ينتقلون - طويلاً - إلى مرتبة النظر النقلية لتعيين الإمام. ولا أدري كيف خفي على الدكتور عمارة مثل ذلك وهو قد أقر أن العقل أداة للنظر - عند الشيعة - في الأصول الاعتقادية كما هو أداة للنظر في الأدلة الشرعية (٥٣)، والحال أن الإمامة عند الشيعة تعد من أصول الدين وليست من الفروع. وفضلاً عن ذلك فإن من المجمع عليه لدى المسلمين تأخر الدليل العقلي عن الدليل النقلية في حال وجوده، بمعنى أن الاجتهاد ممنوع شرعاً مع وجود النص. ومن المعلوم أن النصوص - والتي ذكرنا قسماً منها - قد أتت على تعيين الإمام، وهي نصوص صريحة لدى العامة والخاصة لا يجوز الاجتهاد مقابلها.

وإذا كان ثمة من يرى في اعتقاد الشيعة بعصمة الأئمة - عليهم السلام - وإكبارهم والانقياد لهم، طابعاً أسطورياً ينأى بهم عن العقل، فإن رؤيتهم هذه ناشئة عن الفقر الفكري وقلة إطلاعهم، إذ لا تعد العصمة بدعة شيعية محضة، وإنما هي فكرة إسلامية لا تكاد تجد طائفة إسلامية إلا وتعتقد بها وتؤمن بها وإن اختلفوا في موضوعها. فهي ليست إلا الضابط الذي يؤدي إلى حفظ الشريعة نظرياً وصيانتها من العبث تطبيقاً. وإن صرفها

الشيعة إلى أئمتهم، فلقد صرفها الفكر السني إلى غيرهم، من القراء والمحدثين والفقهاء، بل أنهم اعتقدوا أن سيرة الشيخين - أبي بكر وعمر - تعادل سنة النبي (ص) وأن الخلافة الراشدة معصومة عصمة الرسالة<sup>(٥٤)</sup>، بل أن اعتقاد العامة بمبدأ عدالة الصحابة ما هو إلا التعبير الحقيقي عن الإيمان بعصمتهم وعدم تجويز الخطأ والمعصية عليهم.

أما إكبار الأئمة والانقياد لهم فإنهم فرع عن إيمانهم بعصمتهم وهو إكبار وتقديس لا يبلغ إلى حد المغالاة فيهم، إذ كيف يصل إلى هذا الحد وقد تجد في التراث الشيعي عشرات الروايات التي أتت على ذم الغلو، بل تحريمه والنهي عنه. والغلاة في الفكر الشيعي كفار بإجماع علماء الشيعة وفقهائهم.

#### [٦] فكر ثوري:

ولعل أبرز ما يميز الفكر الشيعي هو الطابع الثوري، ونعني به رفض الواقع الفاسد، والتمرد عليه والخروج على الظالمين، والانتصار لدين الله تعالى، والانتقام من أعدائه. والتاريخ الشيعي مخزون هائل لتاريخ الثورات والانتفاضات، وموقفهم من الدول الجائرة والحكام الجائرين لا يفتقر إلى توضيح، فعليه شواهد لا تحصى، بل يكاد يكون من أوضح الواضحات. ومن الغريب جداً أن يدعي الدكتور عمارة أن «الشيعة الإمامية ينكرون الخروج المسلح إلا إذا كان مع إمامهم المنتظر... ولقد توقف هؤلاء بوسائل النهي عن المنكر عن أداتي: اللسان والقلب دون اليد، فضلاً عن اليد الحاملة للسياف»<sup>(٥٥)</sup>.

والحقيقة أن الثورة - من حيث المبدأ - مشروعة، بل أن الخروج على الجائرين من الواجبات الشرعية، وإن حرمت لدى بعض الفقهاء فلجهة ثانوية أو عنوان ثانوي. أما ما ذكره الدكتور عمارة من اقتصار الشيعة في الإنكار على أداتي اللسان والقلب، فهو أشبه بالفضيحة الفكرية، وها هي كتب الفقه الموسوعية والمختصرة قديمها وحديثها تعبر عن إيمان الشيعة بالتردد - في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - ولم يقف أحد من الفقهاء عند اللسان والقلب كما ذكره عمارة. ومن المؤسف جداً أن يكون مصدره (الفصل في الملل والأهواء والنحل) لابن حزم، وكان الأولى والأجدر به كباحث أن يتوفر على مصادر الفكر الشيعي

للتأكد من حقيقة الأمور.

ولأن كنا نغمض الطرف عن آراء بعض المشايخ كشيخ السلف ابن تيمية أو محمد أبو زهرة لجهة سقوطهم تحت وطأة التعصب المذهبي فإننا لا نغض الطرف عن شطحات أمثال الدكتور زكي نجيب محمود والدكتور محمد عمارة، أما الأول فلكونه أحد أبرز المفكرين العرب، الذي عرف بدقة الأفكار ومثانة الآراء، والثاني باحث معروف يربأ به البحث العلمي أن يستسلم للعاطفة والمزاج.

تلك محاولة متواضعة جاءت وليدة صدمة، وإن جاءت موجزة مقتضبة، فلضرورة أنها أقرب إلى المقالة منها إلى البحث .



## الحواشي

- مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی
- (١) منهاج السنة ٢٩/١ .
  - (٢) الأحوال الشخصية ص ٨٣ .
  - (٣) انظر د. محمود، زكي نجيب، تجديد الفكر العربي، ص ١١٧، ط دار الشروق ط الثامنة ١٩٨٧ .
  - (٤) المظفر، محمد رضا، عقائد الإمامية، ص ٦٠، ط دار الحوراء - بيروت .
  - (٥) نهج البلاغة خطبة / ١ .
  - (٦) نهج البلاغة خطبة / ١٧٧ .
  - (٧) القرشي، باقر، حياة الإمام الحسين، ١٤٩/١ .
  - (٨) المظفر، محمد رضا، عقائد الإمامية، ص ١٢٠ .
  - (٩) القرشي، باقر، حياة الإمام الباقر، ١٩٠/١ .
  - (١٠) انظر، د. داوود، حامد حفي، ص ٤١ مقدمة عقائد الإمامية للمظفر، مصدر سابق .
  - (\*) يحسن بالقارئ الرجوع إلى كتاب المراجعات للسيد عبد الحسين شرف الدين وكتاب التشيع للسيد عبد الله الغريفي، وكتاب الإمامة في ضوء الكتاب والسنة للشيخ مهدي السماوي .
  - (١١) المستدرک: ج ٣/ ١٠٩ .



- (١٢) المصدر نفسه : ج ٣/٥٣٣ .
- (١٣) المراجعات ص ١٩١ ، ص ١٩٧ .
- (١٤) المستدرک : ج ٣/١٣٤ ، الترمذی فی صحیحہ : ج ٥/٦٣٢ ، مسند أحمد بن حنبل : ج ٤/٤٣٨ .
- (١٥) انظر كتاب التشيع للغريفي ص ٢٣٥ .
- (١٦) مسند أحمد بن حنبل ج ٤/١٦٥ بطرق متعددة كلها صحيحة عند البخاري ومسلم وأخرجه ابن ماجه في سننه ج ١/٤٤ حديث ١١٩ .
- (١٧) الكامل في التاريخ ج ٢/٢٢ ، الطبري في تاريخه ج ٢/٢١٧ ، أبو الفداء في تاريخه ج ١/١١٦ ، شرح ابن أبي الحديد م ٣/٢٦٣ ، مسند أحمد بن حنبل عن طرق صحيحة عند البخاري ومسلم ج ١/١١١ .
- (١٨) انظر التشيع للسيد الغريفي ذكر ثلاث صيغ مع مصادرها ص ١١٦ .
- (١٩) و(٢٠) انظر المصدر السابق ص ١٤٥ .
- (٢١) كنز العمال ٦/٢١٧ حديث ٣٨١٩ ، حلية الأولياء نقلاً عن شرح النهج م ٢/ ص ٤٥٠ ، مسند أحمد بن حنبل ص ٤٤٩ .
- (٢٥) ينابيع المودة للقندوزي الحنفي : ج ٣/١٠٥ .
- (٢٦) المصدر نفسه : ج ١/٨٣ .
- (٢٧) صحيح البخاري : ج ٩/٧٢٩ حديث ٢٠٣٤ .
- (٢٨) صحيح مسلم : ج ٦ ص ٤ .
- (٢٩) مسند أحمد بن حنبل ج ٥/٩٢ .
- (٣٠) بحسن مراجعة كتاب التشيع للسيد الغريفي ص ٤٣٣ ، والأصول العامة للفقهاء المقارن للسيد محمد تقي الحكيم ص ١٧٧ وما بعدها .
- (٣١) تيارات الفكر الإسلامي ، ط ١٩٨٣ ، دار المستقبل العربي القاهرة ، ص ٢٠١ .
- (٣٢) محمد عمارة ، مرجع سابق ، ص ٢٠١ ، ص ٢٠٢ .
- (٣٣) نهج البلاغة خطبة / ٢ .
- (٣٤) نهج البلاغة خطبة / ١٤٢ .
- (٣٥) الكامل للمبرد ، ج ٢/١٣٠ ط القاهرة ١٣٠٨ هـ .
- (٣٦) راجع الكامل في التاريخ : ج ٣/٧٧ وقارن به الطبري .
- (٣٧) الأخبار الموفقيات للزبير بن بكار ص ٥٩٣ ط بغداد ١٩٧٢ تحقيق سامي العاني .
- (٣٨) شرح النهج لابن أبي الحديد م ٢/٢٦ ، جمهرة رسائل العرب ١/٥٤٠ .
- (٣٩) المستدرک ج ٣/٢٧٢ .
- (٤٠) تاريخ الطبري ج ٦/٢٤٢ في حوادث سنة ٦١ .

- (\*) يحسن مراجعة «مصادر نهج البلاغة وأسانيده» للسيد عبد الزهراء الحسيني، فصل الوصي والوصية من الجزء الأول ص ١٢١ إلى ص ١٥١.
- (٤١) صحيح البخاري كتاب الوصايا ٢/٨٣، ٣/٦٤.
- (٤٢) حديثها بوفاة رسول الله (ص) في حجرها معارض بأحاديث أصح منها تراجع في كنز العمال ج ٤/٥٥، شرح النهج ج ٢/٢٠٧-٥٩٠ وغيرها من المصادر وإن صح الحديث فهو لا يدل على عدم الوصية إطلاقاً.
- (٤٣) يحسن مراجعة هوية التشيع للوائلي، وتاريخ الإمامية للدكتور عبد الله الفياض.
- \* يحسن مراجعة كتاب الأصول العامة للفقهاء المقارن، محمد تقي الحكيم ص ١٧١.
- (٤٤) انظر رجال الكشي ص ٢٥٦ و ص ٢٥١، و ص ١٩٦.
- (٤٥) انظر الرجال للطوسي ص ٥٦.
- (٤٦) ذكر السيد عبد الحسين شرف الدين في كتاب «المراجعات» مئة من أسناد الشيعة في أسناد السنة أي ممن وثقه علماء السنة ونقل عنه واعتمد حديثه يراجع ص ٧٠ إلى ص ١٢٦.
- (٤٧) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، مصطفى عبد الرزاق ص ٢٠٢.
- (٤٨) انظر أضواء على السنة المحمدية، محمود أبو رية، ص ٣٠٠.
- (٤٩) يراجع ميزان الاعتدال الذهبي، وتهذيب التهذيب لابن حجر.
- (٥٠) أبو رية، أضواء على السنة المحمدية ص ٣٠١.
- (٥١) د. عمارة، مرجع سابق، ص ٢٠٧.
- (٥٢) د. عمارة، مرجع سابق، ص ٢١٧.
- (٥٣) المرجع نفسه ص ٢١٨.
- (٥٤) د. صبحي، أحمد محمود، نظرية الإمامة، انظر ص ١٦ و ص ١٢٠.
- (٥٥) د. عمارة، مرجع سابق، ص ٥٤.





مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی